التناص الديني في قصص بنت الشاطئ القصيرة في مجلة الهلال "نماذج مختارة"

Religious Intertextuality in the short Stories of Bint Al-Shati in Al-Hilal Magazine "Selected Models"

Al-Bara Safwan Abdel-Ghany
Assistant Professor, Al-Azhar University
And a coordinated member of the Education Development Office at Al-Azhar University
Email: Baraasafwan@azhar.edu.eg ORCID: https://orcid.org/0000-0002-3048-6449

Dr. Hayat Ullah
Lecturer Arabic Department – NUML Islamabad
Email: hayatullah@numl.edu.pk ORCID: https://orcid.org/0000-0003-1137-0042

Abstract

There are many terms that came within the framework of the concept of intertextuality, such as: (text interaction), (textual overlap), (relationship between texts) and (textual relationships), all of which are terms for one concept with narrowness in some and breadth in others.

Intertextuality is a clear phenomenon in Bint Al-Shati's short stories, especially with regard to the Islamic heritage, either directly or indirectly.

This research deals with religious intertextuality in the short stories of Bint Al-Shati in Al-Hilal magazine (selected models), through the following two axes:

1. The first axis: intertextuality with the Holy Qur'an.

2. The second axis: intertextuality with the noble hadith.

3. These two axes are preceded by: an introduction and a preamble, followed by the conclusion of the research.

The research aims to clarify the manifestations of religious intertextuality in Bint Al-Shati's short stories through "selected models.

It is clear from this brief research article that Bint Al-Shati derives many ideas and meanings from religious texts and religious biography. To infuse the creativity of a Muslim woman who is dependent on religious authenticity and which gives rise to future prospects.

Keywords: *Intertextuality, Bint Al-Shati, Al-Hilal magazine,Ideas.*

ملخص البحث[1]

يتناول هذ البحث التناص الديني في قصص بنت الشاطئ القصيرة في مجلة الهلال (نماذج مختارة)، وذلك من خلال المحورين التاليين:

1. المحور الأول: التناص مع القرآن الكريم.
2. المحور الثاني: التناص مع الحديث الشريف.
3. ويسبق هذين المحورين: مقدمة وتمهيد، وتعقبهما خاتمة البحث.

ويهدف البحث إلى تجلية مظاهر التناص الديني في قصص بنت الشاطئ القصيرة من خلال "نماذج مختارة"، وتتضح أهمية هذا البحث في تجسيد التعددية التناصية خاصة الدينية لدى بنت الشاطئ؛ ولم لا وهي سليلة بيت أزهري؟!، وقد منَّ الله عليها إذ وعت القرآن الكريم منذ نعومة أظفارها، ثم صارت زوجا لشيخ كبير وعالم نحرير فضيلة الشيخ أمين الخولي، بل نهضت بالتدريس وأشرفت علميا على باحثين كثيرين في مرحلة دراساتهم العليا في جامعات كثيرة: ففي لبنان درّست بجامعة بيروت، وفي السعودية درّست في عدد من جامعاتها، وفي السودان درّست بالجامعة الإسلامية، وإلى جانب ذلك فقد عملت أستاذا زائرا بعدد من الجامعات العربية، وكان لها حضور مناسبات علمية متعددة في الدول العربية وغيرها.

كما أنها صاحبة المؤلفات الجامعة بين أصالة التراث –على امتداده وعراقته– وجمالية الحاضر –رغم تناقضه– ويكفي في هذا الصدد مؤلفاتها المتصلة بالجانب الديني، ومنها: التفسير البياني للقرآن الكريم، سيدات بيت النبوة، وسكينة بنت الإمام الحسين، أم النبي، نساء النبي، زينب عقيلة بني هاشم، بنات النبي.

ويتضح من هذا العرض الموجز أن بنت الشاطئ استقت العديد من الأفكار والمعاني من النصوص الدينية والسيرة الدينية؛ لتبث إبداع امرأة مسلمة مرتكن إلى أصالة دينية وباعث من خلاله آفاقا مستقبلية؛ ومن ثم كان هذا البحث:

التناص الديني في قصص بنت الشاطئ القصيرة في مجلة الهلال (نماذج مختارة).

مقدمة

يخضع الأديب في تكوينه الأدبي لمعارف وثقافات وأدبيات شتى، مستمدة من الحياة الدينية والأدبية والثقافية والاجتماعية التي تتعالق مع ما ينتجه الأديب من نصوص؛ وتغدو جزءا من ثقافة الأديب وفكره وخياله؛ وهو ما يجسده النتاج الأدبي للأديب؛ ومن هنا برزت الفكرة القائلة بعدم وجود النص المستقل المنغلق على نفسه؛ وهو الأمر الذي يمثل عبئا كبيرا على قارئ النص عند محاولته رد كل فكرة ذات أثر في النص الأدبي إلى نصوص أخرى معاصرة أو سابقة أو حتى نصوص الكاتب نفسه وبعضها بعضا.

وقد وجد الباحث –وانطلاقا مما أشار إليه الدكتور لاشين[2] – أن (التناص) ظاهرة واضحة في قصص بنت الشاطئ القصيرة، خاصة فيما يخص التراث الإسلامي سواء بشكل

مباشر أم بشكل غير مباشر؛ وهو ما تطلّب هذا التساؤل: ما مظاهر التناص الديني في قصص بنت الشاطئ القصيرة؟

وفي إطار الإجابة عن هذا التساؤل سوف أقتصر في هذا البحث على النقاط التالية التي تعد بمثابة محوري البحث؛ وهما:

1. المحور الأول: التناص مع القرآن الكريم.
2. المحور الثاني: التناص مع الحديث الشريف.

تمهيد

(1)

حول بنت الشاطئ[3].

- **مولدها، ونشأتها:**

عائشة عبد الرحمن، ولدت في مدينة دمياط (شمالي مصر)، وفي سن مبكرة -كعادة أهل الريف- قصدت الكتّاب؛ رغبة في حفظ القرآن؛ فكان حفظها القرآن مسوغا لها في التحاقها بمدرسة المعلمات، وتوّجت بحصولها على «الكفاءة» عام 1929م، وقامت بالتدريس ببعض مدارس الريف، ومع هذا كان دخول الجامعة طموحا لها، وزاد طموحها إذ قامت بمراسلة الصحف تحت اسم (بنت الشاطئ)؛ كي لا يعرف بذلك والدها.

نجحت في كلية الآداب 1939م، وتخرجت في قسم اللغة العربية بها، وفي عام 1941م حصلت على درجة الماجستير من الجامعة نفسها، ثم حصلت على الدكتوراه عام 1950م.

تزوجت من الشيخ أمين الخولي؛ وكان زواجا طيبا انعكس على حياتها العلمية، وأسهم في إثرائها إلى دجة كبيرة.

- **عملها:**

شغلت درجات الوظيفة الجامعية: معيدًا، فمدرسًا، فأستاذًا مساعدًا، فأستاذًا، بادئة بجامعة القاهرة، وآخرها جامعة عين شمس (بالقاهرة)، كما عملت في وزارة المعارف، وكانت لها جهود عظيمة في الإشراف على طلاب الدراسات العليا في عدد من الجامعات المصرية والعربية.

اتصلت مبكرا بالصحافة، ونُشر لها عدد من المقالات والقصائد في عدد من الصحف والمجلات كـ: جريدة الأهرام المصرية، ومجلة «الأدب»، وقد حصلت على عضوية نقابة الصحفيين وكانت عضوًا -كذلك- بمجلس مركز تحقيق التراث، وبالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.

- **نتاجها:**

النتاج الشعري:

- لها قصائد عدة نشرت في الصحف والمجلات في حينها، وقد نشرت جانبا من هذه القصائد بالإضافة إلى قصائد جديدة في كتابها «على الجسر».

أعمال أخرى:

- كتبت ثلاث روايات:

1- «سيد العزبة» - مطبعة المعارف - القاهرة 1944م.

2- «رجعة فرعون» - دار المعارف - القاهرة 1948م.

3- «امرأة خاطئة» - سلسلة الكتاب الفضي - القاهرة 1958م.

وكتبت مجموعة قصصية نشرت بعنوان: «سر الشاطئ» - سلسلة الكتاب الذهبي - القاهرة 1952م.

ومجموعة أخرى بعنوان: «صور من حياتهن» - المكتبة العربية - القاهرة 1957م.

وكتبت سيرتها الذاتية، أو جانبًا منها تحت عنوان: «على الجسر: رحلة بين الحياة والموت» - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة 2002م.

وكان لها اهتمام خاص برسالة الغفران للمعري (موضوعها لأطروحة الدكتوراه) وقد حققتها، وصدرت عن دار المعارف - القاهرة 1950م.

كما عادت إلى الكتابة عنها تحت عنوان: «قراءة جديدة في رسالة الغفران: نص مسرحي من القرن الخامس الهجري» -دار الكتاب العربي- بيروت 1972م.

وحققت بعدها رسالة (الصاهل والشاحج) للمعري -أيضا-، طبعة دار المعارف، القاهرة 1975م، ونوهت على الملامح المسرحية فيها.

اهتمت بنت الشاطئ بثلاث قضايا رئيسة:

أولها: قضية اجتماعية تتصل بالفلاح المصري وما يواجهه من معاناة، وقدمت في هذا الصدد: «قضية الفلاح» –مكتبة النهضة المصرية– القاهرة 1939م، و«الريف المصري» – مطبعة الوفد– القاهرة 1935م.

وثانيها: قضية حقوق المرأة في الإسلام، وعنها قدمت: سيدات بيت النبوة، والشاعرة العربية المعاصرة» –معهد الدراسات العربية العالية– القاهرة 1963م.

وثالثها: قضية التفسير البياني للقرآن الكريم، وقدمت في هذا الصدد كتابها: التفسير البياني للقرآن الكريم، –دار المعارف– القاهرة 1962م.

ومن مؤلفاتها غير ذلك:

– تراثنا بين ماض وحاضر – معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة 1968م.

– لغتنا والحياة –معهد البحوث والدراسات العربية– القاهرة 1969م.

– أعداء البشرالإسرائيليات في الغزو الفكري–معهد البحوث والدراسات العربية– القاهرة 1975م.

- **تكريمها:**

عن تحقيقها رسالة "الغفران" للمعري نالت بنت الشاطئ جائزة المجمع اللغوي لتحقيق النصوص بالقاهرة 1950م، كما نالت جائزة أخرى عن قصتها القصيرة "صور من حياتهن" عام 1953م، وجائزة ثالثة هي جائزة الدراسات الاجتماعية عن كتابتها عن الريف وقضية الفلاح – القاهرة عام 1956م، كما حازت بنت الشاطئ جائزة الدولة التقديرية في الآداب – القاهرة 1987، ووسام الكفاءة الفكرية من الملك الحسن الثاني ملك المغرب.

- **وفاتها:**

في الأول من شهر ديسمبر عام 1998م رحلت الدكتورة بنت الشاطئ.

(2)

حول مصطلح التناص

كثرت المصطلحات التي وردت في إطار مفهوم التناص (Intertextuality) من مثل: (التفاعل النصي) و(التداخل النصي) و(العلاقة بين النصوص) و(المتعالقات النصية)،

وكلهامصطلحات لمفهوم واحد مع الضيق في بعضها والاتساع في بعضها الآخر، ويبدو مصطلح (التناص) أكثر هذه المصطلحات شيوعا.

والتناص من نظريات ما بعد الحداثة "وقد رصد حركتها التاريخية كل من الناقد مارك أنجينو في بحثه (التناصية)، وليون سُمفيل في بحثه الذي يحمل العنوان نفسه. وقد انطلقت شرارتها الأولى من الشكلانيين كما في كتابات (شلوفسكي) ومن ثم (باختين) الذي اتجه بها نحو النص. ثم تسلمتها جوليا كريستيفا واستخدمت للمرة الأولى مصطلح (التناص) في كتاباتها"[4] متكئة على التراث النقدي سيما على نتاج الناقد الروسي ميخائيل باختين ومصطلح الحوارية الذي صكه؛ إذ يرى أن النص الأدبي بمثابة جزء من كرنفال تتعدد فيه الأصوات؛ لذلك يستحيل وجود نص نقي؛ حيث إن كل نص هو صدى لنص آخر[5].

وقد عرفت جوليا كريستيفا التناص بأنه: "ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء كل نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"[6]، وهو ما تشير إليه بوضوح في موطن آخر حيث تقول: "إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى"[7]؛ وهو ما درات حوله تعريفات نقاد آخرين للتناص.

فـ"التناصية عند (مارك أنجينو): هي تقاطع في النص مؤدَّى مأخوذ من نصوص سابقة. ولما استعمل أنجينو مصطلح التناصية لنظرية التناص ومثله (لوران جيني) استعمل (ريفاتير مصطلح التناص، ويعرف كل منهما مصطلحه النصي. فيقترح (لوران جيني) تعريفا لها: هي عمل يقوم به نص مركزي لتحويل نصوص وتمثلها ويحتفظ بريادة المعنى. ويعرف (ميشيل ريفاتير) التناص قائلاً: إن التناص هو أن يلحظ القارئ علاقات بين عمل وأعمال أخرى سبقته أو جاءت بعده. بينما يقول (بارت): إن تبادل النصوص أشلاء نصوص دارت أو تدور في فلك نص يعتبر مركزا وفي النهاية تتحد معه... كل نص هو تناص، والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة. واللغة هي النظام العلامي الوحيد الذي يمتلك القدرة على تفسير الأنظمة الدلالية الأخرى؛ وعلى تفسير نفسه بنفسه أيضا" [8].

وهناك مصطلح آخر هو (التفاعل النصي)[9] الذي صكه جيرار جينيت وتبعه عليه آخرون، وقد كان جينيت في ذلك سبّاقا في شمولية هذا المصطلح؛ حيث شمل هذا المصطلح عدة أنواع بلغت خمسة أنواع رئيسة، وهذه الأنواع هي:

1. التناص، وهو: يحمل نفس المعنى الذي يرمي إليه التناص عند جوليا كريستيفا، أما عند جيرار جينت فهو حضور نص في آخر للاستشهاد والسرقة وما شابه ذلك.
2. المناص: وخير مثال عليه العناوين والعناوين الفرعية والمقدمات والذيول والصور وكلمات الناشر.
3. الميتناص: وهو علاقة التعليق الذي يربط نصا بآخر يتحدث عنه دون أن يذكره أحيانا.
4. النص اللاحق: ويكمن في العلاقة التي تجمع النص "ب" بوصفه نصا لاحقا بالنص "أ" بوصفه نصا سابقا؛ وهي علاقة تحويل أو محاكاة.
5. معمارية النص: هو النمط الأكثر تجريدا وتضمنا، إنه علاقة صماء تأخذ بعدا مناصيا وتتصل بالنوع؟ شعر، رواية، وبحث ....

وقد سبق العرب نظرية التناص تلك بل "ومارسوا التنظير والتطبيق معا، ولكنهم لم يقعوا على مصطلح (التناص) ونظائره وإن استخدموا كلمة (النص) ... وليس هناك من شك في أنهم لم يقعوا على المصطلحات المعروفة اليوم لكنهم وقعوا على مصطلحات أخرى من صنعهم وتستجيب لطبيعة أدبهم؛ ومن ثم ناقشوا أشكالها ... وعرفوا غيرها كالاقتباس والمعارضة والإيحاء؛ وغير ذلك من المصطلحات لكنها لم تجتمع في إطار تنظيري موحد كما في نظرية التناص" [(10)].

المحور الأول: التناص مع القرآن الكريم

يشكل التناص مع النصوص الدينية المختلفة –وأعني بالدينية هنا: ما يتصل بالدين الإسلامي[(11)]– وفي مقدمتها القرآن الكريم– ركيزة أساسية في قصص بنت الشاطئ القصيرة؛ حيث عمَّق هذا التناص الأفكار المطروحة، وأسهم في التشكيل الفني لهذه النصوص القصصية.

والتأمل في قصص بنت الشاطئ القصيرة يُظهر أن عملية استلهامها لآي القرآن الكريم قد جاءت معبرة عن وعيها وفكرها؛ حيث تؤدي تلك الاستلهامات أغراضا فنية في العمل القصصي؛ مما يكشف عن تشكيل فني بعيد الغور، منبئ عن ثقافة تراثية موسوعية تتخذ من القرآن الكريم ركيزة أساسية.

والقرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، وهو كلام الله المعجز؛ فله المكانة اللغوية والدلالية والبلاغية والأدبية، وهو نص مقدس، وله تأثير في وجدان المتلقي، كذلك فإن القرآن

الكريم مكون أساس من مكونات الأديب المسلم؛ ولهذا فهو الأساس الديني الأول الذي أفادت منه بنت الشاطئ، ووظفته في نصوصها القصصية القصيرة.

وقد جاءت إفادة بنت الشاطئ من القرآن الكريم على صورتين:

الأولى: الاستشهاد بآياته.

الثانية: الاقتباس من هذه الآيات، من حيث: المعاني والمفردات والتراكيب.

ففي الصورة الأولى: تستشهد بنت الشاطئ –في إطار معالجتها لقضاياها القصصية– بآيات قرآنية تجسد من خلالها الرؤية الإسلامية المتكاملة المؤيدة بالدليل الدامغ؛ وكأنها تجتذب المتلقي فتعرض له قضية ما، مفندة جوانبها ثم تأتي بالاستشهاد من القرآن الكريم؛ لتثبِّت القضية بتمامها عنده.

ومن تلك النماذج:

ما استشهدت به بنت الشاطئ في نهاية قصة **"وعد"** في إطار معالجتها للمأساة التاريخية الكبرى –مأساة فلسطين– حيث عرضت لصورة من صور المأساة الفلسطينية الأليمة التي شهدت مسرحها الدامي الممتد على طول قطاع غزة ما بين الخليل وجبل جرزيم وطولكرم؛ إذ أثارت مشاهد رأتها بنت الشاطئ –والمجسدة في نموذج بطلة القصة "أم وحيد"– شجنا حافلا بمأساة نكبة يونيو 1967م.

فهذه البطلة "أم وحيد" تشبثت بأرضها وترابها وحقها التاريخي، وأبت أن تتركها حتى لفظت أنفاسها الأخيرة على أيدٍ صهيونية في مشهد مهيب؛ إذ كانت إحدى يديها ممزقة تقطر دما، والأخرى متشبثة بحفنة من تراب، تراب الأرض الطاهرة، أرض الأجداد والأحفاد التي ناضلت لأجل العودة إليها.

تقول بنت الشاطئ: "وهامت أرواحهم تشيع تلك التي يئست من العودة إلى أرض الأب والولد؛ فسعت إليها؛ لتموت هناك، ثم آبت الأروح من مسراها وصوت المقرئ يتلو هنالك: {وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} (12)"(13).

فهذا الاستشهاد من بنت الشاطئ ينبئ عن اعتقادها الجازم بالحق التاريخي للفلسطينيين في أرضهم التي غصبتها الصهيونية، وهي بذلك تدحض كل المثبطين والمشككين في عودة هذا الحق التاريخي لأهله؛ لأن وعد الله لن يتخلف.

هكذا وظفت بنت الشاطئ الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم؛ لتجلي مأساة تاريخية، ولتؤكد حتمية عودة الحق لأهله وهو ما يجسده –أيضا– عنوان القصة "وعد" الذي اختارته بنت الشاطئ.

وفي صورة أخرى يجسد التناص الديني (الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم) دوره في النص القصصي لدى بنت الشاطئ؛ حيث تستشهد بنت الشاطئ في قصة "**عمياء**" بآيات من القرآن تجسد من خلالها نموذج الأمل والرغبة في الحياة ضد اليأس والقنوط.

ففي هذه القصة "عمياء" ترسم بنت الشاطئ –من خلال بطلة القصة– نموذجا لفتاة ريفية تكسر التقاليد وتحطم العادات المألوفة، وتثور على بعض الثوابت التي ما كان لها أن تثور عليها.

فتلك البطلة الريفية الصبية الحسناء اليتيمة "حُسنة" المزهوة بلونها الأشقر الذي تفردت به عن أترابها الريفيات، وكأنها لم تلفحها شمس الوادي، ولا شربت من نيله الخمري، ولا أكلت من قمحه الذهبي، التي هيأ لها من الأسباب ما يساعدها في ثورتها على الثوابت؛ حيث إن أمها كانت تعمل "قابلة" مولدة، وكانت تصحب ابنتها إلى كل مكان تذهب إليه؛ لأنها يتيمة ولا أحد يرعاها، وتخاف عليها وحدتها؛ فكانت تصحبها أينما حلت أو ارتحلت في أي وقت حتى ولو كان الوقت منتصف الليل! وفي المقابل فإن أترابها كن يقبعن في البيوت مع غروب الشمس! بل إن البطلة أتيح لها أن تكسر القيد الذي أرقها؛ حيث تركت بلدتها إلى مكان آخر وحطمت هناك كل القيود؛ فأصبحت أثرا بعد عين!

وهنا تستشهد بنت الشاطئ بآية من الذكر الحكيم تجسد من خلالها عدم الاستسلام واليأس والخنوع مهما كان المصاب، وكأنها تأخذ بأيدي اليائسين –من خلال بطلة القصة حسنة– إلى بر الأمان؛ فهما يكن المصاب والذنب فلا بد من الرجوع إلى الله؛ فإن الله غفور رحيم، وهذا ما سطرته الكاتبة في استشهادها؛ إذ تقول على لسان البطلة التي عادت إلى بلدتها محطمة عمياء:

"وحسبت أن لا يعفني أحد، لكن الشيخ مرسي سعى إليَّ هنا غداة جئت، فتلا في أذني قوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}(14) ثم دعا لي، وخرج إلى أهل القرية يأمرهم أن يترفقوا بالعمياء التائبة التي اعتصمت ببيت الله؛ فما عاد لأحد عليها من سبيل!"(15).

فهذا الاستشهاد من القرآن الكريم وظفته بنت الشاطئ لتجسيد مغزى القصة، وأن الله قريب من عباده، غافر الذنب، قابل التوب، رحيم غفور، وهذا ما أكدته بنت الشاطئ في الاستشهاد الثاني على لسان الراوية وهي تحاور البطلة التي صارت عمياء:

"وجرؤت على أن أسألها: أفما يعاودك حنين إلى النور؟

فهتفت بكل جوارحها: كلا، فما كان إلا الضوء الخاسر يعمي القلوب والأبصار، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور. ولما ودعتها ومضيت، تناهى إلى سمعي في سكون الليل صوت من المعبد يتلو في خشوع: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}(16)"(17).

وهذا المغزى أكدته بنت الشاطئ كثيرا في قصصها؛ فباب الأمل والرجاء لا يغلق، والله -تعالى- كفيل بغفران كل الذنوب لمن يشاء. وفي تأثر بنت الشاطئ بالقرآن الكريم، والاستشهاد بآياته إصرار على بناء مجتمع قوي خال من الحقد والحسد والغيبة والنميمة، وكل ما من شأنه تقويض المجتمعات، وفي المقابل تثير الأمل في النفوس؛ حتى لا يحف اليأس به؛ فيدمره. وفي ذلك تقول:

"إني لأكاد أراها في كل مَنْ ألقى من بنات هذا الجيل، بل أحسبني ألمح صورة منها في كل أم مثقلة بهموم الأبناء، وأعجب كيف طاب لي ولبعض زميلاتي أن نتسلى حينا بتمزيق لحمها ونهش جثتها دون أن نشمئز أو نعف أو نبالي! ... ولم يدر بخلد واحدة منا أن تتلو قوله تعالى: {ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه...}(18)"(19).

وهو ما تؤكده في قصة أخرى؛ تثير في النفوس التوبة والأوبة إلى الله، والتمسك بالأمل وعدم اليأس. تقول:

"وحين ماتت خرجت بها في ليلة كهذه فواريتها التراب تحت جنح الظلام، وأضجعتها بيدي الآثمة في قبر منبوذ، ثم عدت أستغفر الله (أم ترين أن الله لا يغفر لأمثالنا؟) فأمسكتُ عبرتي وأنا أتلو قوله تعالى: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن

الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم}[20] فكأنما نزلت كلمات الله على المسكينة بردا وسلاما...وتشبثت بي تسألني في توسل: تهبين هذه الآيات الكريمة لصغيرتي الضائعة؟ قلت وقلبي يتمزق: أجل يا خالة، وأقرأ معها الفاتحة على روح ناعسة. فلم تصدق حتى أعدت عليها ما قلت، ثم رفعت وجهي إلى السماء وتلوت سورة الفاتحة"[21].

أما الصورة الثانية في توظيف بنت الشاطئ للتناص مع الآيات القرآنية في قصصها القصيرة فيكون من خلال الاقتباس من هذه الآيات، من حيث: المعاني والمفردات والتراكيب، وتوظيف القصص القرآني.

ويُعد موضوع القضاء والقدر وما يتصل بهذا الموضوع من قضايا محورا أساسا تأثرت فيه بنت الشاطئ بالقرآن الكريم[22] كثيرا، ولهذا؛ عالجته معالجة قوية في ضوء هدي القرآن والسنة.

ففي قصة "الذئاب" التي نشرت في مجلة الأدب، تشدد بنت الشاطئ على مسألة التسليم والإذعان بما قدر الله وقضى خاصة فيما يتصل بالذرية، ولهذا؛ فهي تجسد تبرم البطل عندما بُشر بمولد ابنته؛ لأنه يخاف من المصير السيئ الذي ينتظرها؛ فقد فعل أفعالا يندى لها الجبين، وتأكد من أن الله لن يتركه يهرب بجرائره التي غرر فيها بإناث كثيرات.

تقول الراوية واصفة حال البطل:

"عندما بُشر بمولد أنثى اسودت الدنيا في وجهه، وخرج من داره متعثر الخطو، ذاهل اللب، شارد النظرات، وحملته قدماه إلى الطرف الأدنى من زراعته الواسعة، وتوقف هناك يدير عينيه في ذلك المسلك العريض، والحسرة تمزق قلبه وتفري كبده"[23].

لقد اقتبست بنت الشاطئ من آيات القرآن الكريم معنى ولغة، وتأكيدا لقضية العدالة وأن الله لا يظلم أحدا مثقال ذرة، وأن المرء سيجد ما قدم إن كان خيرا فخير، وإن كان شرا فشر، وأنه لا بد من الإيمان بالقضاء والقدر، وعدم الاعتراض عليه، وهنا اقتبست بنت الشاطئ من قوله تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ}[24] وقوله: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ}[25].

وهو ما تؤكده في قصة اقتبست عنوانها من القرآن الكريم، وهي قصة "أين المفر؟" وفيها تسليم لله –تعالى– بما قضى وقدر؛ إذ تقول: "ولم يطل بي الترقب والانتظار؛ فما مضت أيام

معدودات حتى كشف الستار عن الجريمة الغامضة"[26]؛ فهذا يتناص مع قوله تعالى: {يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ}[27].

وفي قصة "الضحية" تأكيد على أنه لا بد من الامتثال لأمر الله سبحانه -وتعالى- وأنه لا مَلْكَ لواحد من أمره شيئا، تقول: "هل يستطيع ذهب الأرض جميعا أن يبعثها إلى الحياة من جديد، ويذود عنها الأشباح الرهيبة التي رافقتها من يوم عرسها، وروعت أحلام صباها ورؤى شبابها؟"[28].

وهي بذلك تناص مع قوله -تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}[29].

وهناك قضايا أخرى عالجتها بنت الشاطئ، ووظفت فيها الاقتباسات القرآنية لتعالجها إضافة إلى قضية القضاء والقدر، ومن هذه القضايا:

لوم النفس والشعور بالذنب، الأمل وعدم اليأس، ترك العناد والتكبر، الإقبال والإقدام، الحسرة على ما قُدِّم... إلخ.

المحور الثاني: التناص مع الحديث الشريف

وظفت بنت الشاطئ التناص مع الأحاديث الشريفة في قصصها القصيرة؛ من خلال الاقتباس من هذه الأحاديث، من حيث: المعاني والمفردات والتراكيب، وتوظيف نص الحديث الشريف في القضايا التي تعالجها، وهي غالبا قضايا اجتماعية تحث على التخلق بالأخلاق الحسنة، وترك كل ما يهوي بالفرد إلى الحافرة.

وعلى رأس هذه القضايا -كما سبق- قضية القضاء والقدر، وهي ما نبه إليه الدكتور لاشين[30]، وقد سبق وأن عالجت شيئا منها في المحور الأول.

ففي قصة "بنت العمدة" تبطش بنت العمدة ببنت امرأة فقيرة، وتصمت عن جريرتها القرية كلها خوفا من بطش العمدة بهم، ويظلون كذلك على مضض لا ملك لهم أن يفعلوا أي شيء سوى الصبر على هذا المتجبر حتى يقصمه الله، وقد كان، تقول بنت الشاطئ: "وحاولت ما وسعها الجهد أن تثير اهتمام رجال الإدارة بقضية الضحية البريئة؛ فأعياها أن تجد منهم مَنْ يُصغي إلى "ثرثرة فارغة عن مخلوقة تافهة غرقت قضاء وقدرا...ولم تجد القرية أمام هذا الجمود إلا أن تصبر على مضض، وتكل الأمر للمنتقم الجبار...وحدث بعد حين أن أصيب العمدة

بداء خبيث عضال؛ فتك به على مهل فلم يمت إلا بعد أن استنفده السقم، وأزله المرض حتى كانت صرخات توجعّه تسمع في جوف الليل مختلطة بالصدى الباقي من عواء المفجوعة الخرساء؛ فرأت القرية أن الله قد انتقم لطفلتها الضائعة وإن ظلت مع ذلك تمطر قبر الظالم باللعنات!"(31).

فهذا يتناص مع قول النبي –صلى الله عليه وسلم– "من رأى منكم منكرا فليغيره..."ومع قوله–صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته".

وفي قصة **"عالية"** نموذج آخر، تقول بنت الشاطئ: " وأبى أن يتقبل في فقيدته عزاء، وجمدت عيناه فلم تذرفا عليها دمعة واحدة، وإن ظل –مع ذلك– يغدو إلى المركز والمستشفى كل يوم، ثم يؤوب في المساء وحيدا صامتا في هدوء البائس من استرجاع ما فات، المستسلم لما هو آت...وتواترت نظرات العطف والرثاء للشاب الثاكل، وحلت محلها نظرات أخرى فاحصة مستريبة تلاحقه في غدوه ورواحه"(32).

وفي قصة "اللعينة" تناص مع قوله –صلى الله عليه وسلم–:"كما تدين تدان"؛ حيث تجعل بنت الشاطئ ما حدث لبطل القصة نموذجا فيه العبرة والعظة، وأنه لن يقترف أحد شيئا إلا وسيجازى بمثله. تقول:

"وعصمها مثل هذا الرجاء من اليأس المحطم، وأعانها على احتمال نكد العيش في ذلك الكوخ المظلم الكئيب؛ فأقامت تنتظر يوما بعد يوم، وليلة في إثر ليلة، وما يخامرها شك في أن الله مستجيب إلى ضراعتها ومفرج كربتها بعد حين...لكن القدر كان يدخر له في ابنته هذه فجيعة أفدح من تلك التي ابتلاه بها في أختها الخاطئة، ويُصر على أن يتقاضاه ثمنا رهيبا كفارة عن عبثه في شبابه بصبية يتيمة غريرة وحيدة أمها...ورمى الشيخ ببصره في المقابر حيث كان الأب المفجوع في ابنتيه يهيم على وجهه ضالا ملتاث العقل، ثم رفع عينيه إلى السماء وهتف في أسى وخشوع: يا لعدالة الخالق الديان! إنها لعنة أم فجعها هذا التعس في وحيدتها؛ فجنت! أفي الله بعد ذلك ريب؟ سبحانه لا يغفل ولا ينام..."(33).

الخاتمة:

بعد هذا التطواف ينتهي البحث إلى:

- أن عملية استلهامها لآي القرآن الكريم قد جاءت معبرة عن وعيها وفكرها؛ حيث تؤدي تلك الاستلهامات أغراضا فنية في العمل القصصي؛ مما يكشف عن تشكيل فني بعيد الغور، منبئ عن ثقافة تراثية موسوعية تتخذ من القرآن الكريم ركيزة أساسية.
- أن القرآن الكريم الأساس الديني الأول الذي أفادت منه بنت الشاطئ، ووظفته في نصوصها القصصية القصيرة.
- أن إفادة بنت الشاطئ من القرآن الكريم –في قصصها– جاء على صورتين:

الأولى: الاستشهاد بآياته، والثانية: الاقتباس من هذه الآيات، من حيث: المعاني والمفردات والتراكيب.

- أن بنت الشاطئ باستشهاداتها القرآنية تجسد الرؤية الإسلامية المتكاملة المؤيدة بالدليل الدامغ؛ وكأنها تجتذب المتلقي فتعرض له قضية ما، مفندة جوانبها، ثم تأتي بالاستشهاد من القرآن الكريم؛ لتثبِّت القضية بتمامها عنده.
- وظفت بنت الشاطئ التناص مع الأحاديث الشريفة في قصصها القصيرة؛ من خلال الاقتباس من هذه الأحاديث، من حيث: المعاني والمفردات والتراكيب.
- أن القضايا التي وظفت فيها بنت الشاطئ نص الحديث الشريف هي غالبا قضايا اجتماعية تحث على التخلق بالأخلاق الحسنة، وترك كل ما يهوي بالفرد إلى الحافرة.
- أن على رأس القضايا التي وظفت فيها بنت الشاطئ نص الحديث الشريف هي قضية القضاء والقدر.

المراجع:

1. انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط2، 2001م.
2. الخطاب الحواري، ميخائيل باختين، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط1، 1987م.
3. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، عبد الله محمد الغذامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة 1998م.
4. دراسات في النص والتناصية، رولان بارت، وآخرون، ترجمة محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري – حلب، ط1، 1998م.
5. علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل كاظم، دار توبقال للنشر– الدار البيضاء، ضمن سلسلة (المعرفة الأدبية)، 1991م.
6. قصة "أين المفر؟"، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مجلة الهلال، الجزء 9، المجلد 65، سبتمبر 1957م.
7. قصة "بنت العمدة"، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مجلة الهلال، الجزء7، المجلد 63، يوليو 1955.
8. قصة "الذئاب"، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مجلة الأدب، مصر، المجلد1، العدد 5، 1968م.
9. قصة "الضحية؟"، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مجلة الهلال، الجزء 7، المجلد 62، يوليو 1954م.
10. قصة "عالية"، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مجلة الهلال، الجزء4، المجلد 61، أبريل، 1953م.

11. قصة "عمياء"، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مجلة الهلال، مجلد 63، يونيو 1955م.
12. قصة "المخبولة"، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مجلة الهلال، الجزء5، المجلد63، مايو 1955م.
13. قصة "ناعسة"، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مجلة الهلال، الجزء 12، المجلد 62، ديسمبر 1954م.
14. قصة "وعد"، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مجلة الهلال، جزء 5، مجلد 66، مايو1958م.
15. قصص بنت الشاطئ القصيرة في الهلال من عام 1944 إلى عام 1958 "دراسة نقدية"، محمود فتحي محمود لاشين، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، شبين القناطر – القليوبية مصر، ط1، 2004م.
16. قضايا الفن الإبداعي عند دوستويفسكي، ميخائيل باختين، ترجمة جميل نصيف التكريتي، مراجعة حياة شرارة، سلسلة المائة كتاب (دار الشئون الثقافية العامة) العراق، ط1، 1986م.
17. المبدأ الحواري، ميخائيل باختين وتزفيتان تودوروف، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط2، 1996م.
18. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، العدد 232، أبريل 1998م.
19. المِسْبار في النَّقْد الأَدبي (دراسة في نقد النقد للأدب القديم وللتناص)، حسين جمعة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – 2003م.
20. 1481http://www.almoajam.org/poet_details.php?id= آخر زيارة الأحد: 26 سبتمبر 2016م.

(References)

(1)- نُشر ملخص هذا البحث في المؤتمر العلمي الدولي الثاني لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات جامعة الأزهر بالقاهرة، وعنوانه: (المرأة ومسيرة التنوير الواقع والمأمول من منظور الأزهر الشريف)، والمنعقد في شهر المحرم 1438هـ، الموافق شهر أكتوبر 2016م.

(2)- قصص بنت الشاطئ القصيرة في الهلال من عام 1944 إلى عام 1958 "دراسة نقدية"، (ص265)، والإشارة بنصها كالتالي: "وربما أمكن لغير كاتب هذه الدراسة قراءة نتاج بنت الشاطئ من زوايا جديدة، كتجلية معنى القدر في نتاجها القصصي بأبعاده المختلفة، أو توظيفها للتراث الإسلامي كالقرآن أو التراث العربي كالشعر أو التراث الشعبي كالأغاني، أو التوفر على دراسة لغتها القصصية في ضوء الاقتراب من العامية من خلال تفصيح تراكيبها".

(3)- اعتمدت في الترجمة لبنت الشاطئ معجم البابطين، النسخة الإلكترونية، عبر الرابط:
1481http://www.almoajam.org/poet_details.php?id= آخر زيارة الأحد: 26 سبتمبر 2016م، وذلك بتصرف.

(4)- المِسْبار في النَّقْد الأَدبي دراسة في نقد النقد للأدب القديم وللتناص (ص131- 132)، وينظر: دراسات في النص والتناصية.

(5)- ينظر: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك (ص316-317)، وينظر: قضايا الفن الإبداعي عند دوستويفسكي (ص10-11)، وينظر: الخطاب الحواري (ص51، 69)، وينظر: المبدأ الحواري (ص121-127).

(6)- علم النص (ص21).

(7)- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية (ص326).

(8)- المِسْبار في النَّقْد الأَدبي (ص136).

(9)- انفتاح النص الروائي النص والسياق (ص96-97).

(10)- المِسْبار في النَّقْد الأَدبي (147، 153).

(11)- اقتصرت في هذا البحث على التناص الديني المتصل بالدين الإسلامي، وإن كان هذا لا يمنع من وجود تناص ديني متصل بديانات سماوية أخرى، ومثال ذلك ما يتصل بالكتب المقدسة كالتوراة والإنجيل.

12- سورة الملك، الآيتان (25، 26).

(13)- قصة "وعد" (ص19).

(14)-سورة الزمر الآية (53).

(15)- قصة "عمياء" (ص21).

(16)- سورة النور، جزء آية (35).
(17)- قصة "عمياء" (ص21).
(18)- سورة الحجرات، الآية (12).
(19)- "المخبولة" (ص60).
(20)- سورة الزمر، الآية (53).
(21)- قصة "ناعسة" (ص43).
(22)- وكذلك تأثرت في هذه النقطة بالحديث الشريف، وسيأتي هذا في المحور الثاني.
(23)- قصة "الذئاب" (ص38).
(24)- سورة النحل، الآية (58).
(25)- سورة الزخرف، الآية (17).
(26)- قصة "أين المفر؟" (ص36).
(27)- سورة القيامة، الآية (10).
(28)- قصة "الضحية".
(29)- سورة البقرة، الآية (91).
(30)- قصص بنت الشاطئ القصيرة في الهلال (ص 265).
(31)- قصة "بنت العمدة" (ص55).
(32)- قصة "عالية" (ص81).
(33)- السابق، (ص83).